بيانُ وَهْمِ ابنِ القيِّمِ في معنى الحَدِيثِ الضَّعيفِ في اصْطِلَاحِ الإِمَامِ أَحمَدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

بقلم

فارس بن فالح الخزرجي

بيانُ وَهْمِ ابنِ القيّم في معنى الحَدِيثِ الضَّعيفِ في اصْطِلَاحِ الإِمَامِ أَحْمَدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

الحمد لله الذي علَّم بالقلم ، علَّم الإنسان مالم يعلم ، وأصلي وأسلم على معلم الأمة الأول سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد .

فهذا مقال أصولي حديثي ينتفع منه طلبة العلم عامة ، وطلبة المذهب الحنبلي على وجه الخصوص .

فقد ادرج شمس الدين ابن قيم الجوزية رحمه الله في كتابه (اعلام الموقعين) الأصول التي بنى عليها الإمام أحمد فتواه:

وذكر منها قوله :

الأصل الرابع: الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف، إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه، وهو الذي رجحه على القياس، وليس المراد بالضعيف عنده: الباطل ولا المنكر ولا ما في روايته متهم، بحيث لا يسوغ الذهاب إليه فالعمل به؛ بل الحديث الضعيف عنده قسيم الصحيح وقسم من أقسام الحسن، ولم يكن يقسم الحديث إلى صحيح، وحسن وضعيف، بل إلى صحيح وضعيف، وللضعيف عنده مراتب، فإذا لم يجد في الباب أثراً يدفعه ولا قول صاحب، ولا إجماعاً على خلافه؛ كان العمل به عند أولى من القياس، وليس أحد من الأئمة إلا وهو موافقه على هذا الأصل من حيث الجملة أ.هـ المقصود .

وهذا ما سيتسبب في اشكال عند دارس أصول المذهب الفقهية ، لأنه في كل مسألة يرد فيها حديث ضعيف سيطرحه المستدِل ، ويبحث عن حديث حسن .

وهو ما يفعله الكثير مع تحسينات الشيخ الالباني رحمه الله ويأتي بها مستدلًا على مسائل حنبلية المذهب .

وتقرير شمس الدين رحمه الله من حيث مرتبة الأخذ بالحديث الضعيف في أصول المذهب صحيح .

فهو العالِم المفتي المتفنن كيف لا وهو تلميذ شيخ الإسلام ، إلا أن العالِم مهما علا كعبه في العلم فإنه يفوته مسائل وهذا من الاجتهاد في العلم ولا شك ، ومكانة شمس الدين محفوظة ، ولكن مثلما استدرك على الإمام الهروي رحمه الله وقال عنه :

« شيخ الإسلام حبيبنا، ولكن الحق أحب إلينا منه ».

ونحن أيضا نقول : شمس الدين ابن قيم الجوزية عالِمٌ فذ نحبه في الله ، لكن بيان الصواب والحق أحب الينا .

المقصود بيانه :

أما من حيث ذكره لمعنى الحديث الضعيف : بقوله « بل الحديث الضعيف عنده قسيم الصحيح وقسم من أقسام الحسن » .

ففيه نظر وهو وهم منه

وللتعقيب على ما قاله ونسبه للإمام أحمد رضي الله عنه

نقول :

معنى الضعيف إذا اطلق عند اهل الحديث والفقه معًا :

هو ما لم يتصف بصفات الصحيح ما قبل الترمذي.

وعند الترمذي وما بعده : ما لم تتوافر فيه شروط الصحيح والحسن .

إذن الضعيف عند الإمام أحمد رضي الله عنه :

هو ما لم يتصف بصفات الصحيح .

بيان الأدلة على وهم ابن القيم :

أولًا . أنه جَمَعَ المرسل والضعيف : وحملهما على انه بمعنى الحسن .

ومعلوم أن المرسل من أنواع الضعيف ، ولا يمكن للمرسل أن يكون حسنًا .

ثانيًا .ابن القيم رحمه الله ذكر ذلك مخالفًا وبطريق الوهم أصول الإمام احمد رضي الله عنه في اصطلاح الضعيف .

ثالثًا .بداية ينبغي أن يعلم أن ابن القيم حمل معنى الضعيف بناء على اصطلاح المحدثين ، والإمام احمد أراد بذلك اصطلاح الفقهاء .

رابعًا. هذا المعنى الذي ذكره ابن القيم لم يذكر في كتب أصول المذهب ولم يسبقه إليه أحد سوى شيخه تقي الدين رحمه الله تعالى .

خامسًا. قد بين الإمام أحمد ﷺ اصطلاحه للضعيف وأنه ليس بصحيح ومعلوم أن الحسن لا يدخل فيه الضعيف .

قال أبو يعلى مبينًا اصطلاح الإمام أحمد ﷺ:

ومعنى قول الإمام أحمد ﷺ : "ضعيف":

على طريقة أصحاب الحديث ؛ لأنهم يضعفون بما لا يوجب تضعيفه عند الفقهاء ، كالإرسال والتدليس والتفرد بزيادة في حديث لم يروها الجماعة ، وهذا موجود في كتبهم: تفرد به فلان وحده ، فقوله: "هو ضعيف"، على هذا الوجه .

فذكر أمثلة على الضعيف وهي الارسال والتدليس والتفرد ، ومعلوم أنها كلها لاتدخل في الحسن .

١.تصريح الإمام أحمد رضي الله عنه بمعنى الضعيف . بأنه ضعيف الاسناد.

فقال مهَنّا : قال أحمد: الناس كلهم أكْفاء إلا الحائك والحجام والكساح ، فقيل له: تأخذ بحديث "كل الناس أكْفاء إلا حائكاً أو حجاما" وأنت تضعفه ؟.

فقال: إنما نضعف إسناده، لكن العمل عليه.

٢. تصريح الإمام بقوله عن الراوي ليس ثبتًا : معلوم أن الثبت هو الحجة ونفي هذه الصفة عن المحدث مطلقًا دل على أن ضعيف .

قال في رواية ابن مُشَيْش ، وقد سأله: عمن تحل له الصدقة وإلى أي شيء يذهب في هذا؟ فقال: إلى حديث، حكيم بن جبير ، فقلت: وحكيم بن جبير ثَبَت عندك في الحديث ؟ قال: ليس هو عندي ثَبَتًا في الحديث.

٣.وكذلك قال مُهَنّا: سألت أحمد رحمه الله: عن حديث مَعْمَر عن الزهري عن سالم عن ابن عمر عن النبي ﷺ : أن غيلان أسلم وعنده عشر نسوة ، قال: ليس بصحيح، والعمل عليه، كان عبد الرزاق يقول: عن مَعْمر عن الزهري مرسلاً.

٤. وقد ذكر أحمد رحمه الله جماعة ممن يروي عنه مع ضعفه ؛ فقال في رواية إسحاق بن إبراهيم: قد يحتاج أن يحدث الرجل عن الضعفاء مثل عمرو ابن مرزوق ، وعمرو بن حكام

، ومحمد بن معاوية وعلي بن الجعد ، وإسحاق بن أبي إسرائيل ، ولا يعجبني أن يحدث عن بعضهم.

٥.وقال أيضاً في رواية ابن القاسم في ابن لهيعة : ما كان حديثه بذلك، وما أكتب حديثه إلا للاعتبار والاستدلال، أنا قد أكتب حديث الرجل كأني أستدل به مع حديث غيره يشده، لا أنه حجة إذا انفرد.

٦.وقال في رواية المروزي: كنت لا أكتب حديثه -يعني جابر الجعفي - ثم كتبته أعتبر به. فقال له مُهَنّا: لم تكتب عن أبي بكر بن أبي مريم ، وهو ضعيف؟ قال: أعرفه.

٧.قال مهَنّا : قال أحمد: الناس كلهم أكْفاء إلا الحائك والحجام والكساح ، فقيل له: تأخذ بحديث "كل الناس أكْفاء إلا حائكاً أو حجاما" أنت تضعفه ؟.

فقال: إنما نضعف إسناده، لكن العمل عليه.

وكذلك قال مُهَنّا: سألت أحمد رحمه الله: عن حديث مَعْمَر عن الزهري عن سالم عن ابن عمر عن النبي ﷺ : أن غيلان أسلم وعنده عشر نسوة ، قال: ليس بصحيح، والعمل عليه، كان عبد الرزاق يقول: عن مَعْمر عن الزهري مرسلاً.

٨. بما ذكره ابن القيم من معنى الضعيف وأنه الحسن ستترك الكثير من الأحاديث ، التي استدل بها الإمام أحمد رضي الله عنه .

لأنها ضعيفة فيبحث الدارس عن أحاديث حسنة ليستدل بها ، وقد تكون هذه الأحاديث مخالفة لأصول الإمام فيحصل عندها التناقض .

٩.أقوال الاصحاب في كتب أصول المذهب بينت معنى الضعيف ، ولم يذكروا أن المراد هو الحسن .

حاصل ماتقدم تقريره :

١.الحديث الضعيف الذي يستدل به الإمام أحمد رضي الله عنه مقيد بأن يكون العمل عليه عند العلماء فإذا لم يعمل به تركه .

٢.أن الحديث الضعيف الذي يستدل به الإمام رضي الله عنه هو الضعيف عند المحدثين من جهة الاسناد والارسال وصرح بذلك فيما تقدم من الروايات .

وانما يستدل ويعضده (أن يكون معمولًا به) .

قال أبو يعلى رحمه الله :

« و معنى قول أحمد: "ضعيف": على طريقة أصحاب الحديث؛ لأنهم يضعفون بما لا يوجب تضعيفه عند الفقهاء، كالإرسال والتدليس والتفرد بزيادة في حديث لم يروها الجماعة، وهذا موجود في كتبهم: تفرد به فلان وحده، فقوله: "هو ضعيف"، على هذا الوجه وقوله: "والعمل عليه" معناه: على طريقة الفقهاء».

٢. أن ما ذكره ابن القيم رحمه الله وَهَمٌ وغلط في بيان معناه .

لأن احتجاج الإمام أحمد ﷺ بالضعيف مقيد بشرط (العمل به) وهو مالم يذكره ابن القيم رحمه الله ، ومعلوم أن الحسن لا يحتاج إلى قيد العمل ، لأنه حجة بنفسه .

٣. احتجاج الإمام أحمد ﷺ بالضعيف في حال لا يوجد ما يحتج به وليس هناك مايعارضه.

ولو كان معناه حسنًا عنده لاحتج به بداية ، ولن يؤخره .

المصادر :

العدة في أصول الفقه للقاضي أبي يعلى

الواضح في أصول الفقه لابن عقيل

أصول الفقه لابن مفلح

التحبير في شرح التحرير

روضة الناظر

شرح مختصر الروضة

وكتب المذهب الأصولية ذكرت مباحث الأخذ بالحديث الضعيف.

والله اعلى وأعلم

وكتب فارس بن فالح الخزرجي

١٠ / ١٢ / ١٤٤٢

٢٠ / ٢٠٢١